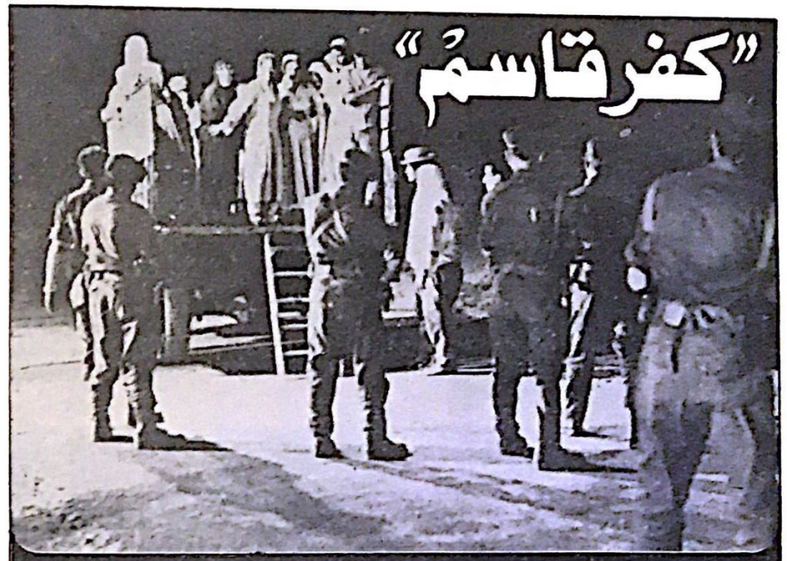

# "كفرقاسم"

## شريط عربي متوهج في تفوقه

قاسم حول

ان تقوم محاولة سينمائية جادة في المنطقة ، فذلك يعني موقف نضالي متفوق ، بسبب عهر الاساليب السينمائية كانتاج ورؤية .

ولقد اصبحت السينما العربية حاضرا في حالة من البؤس ، ما يجعلنا نتطلع بحماس الى كل عمل يناقش الوضع السياسي والعلاقات الانسانية ضمنه بنظرة تحمل الكثير من عوامل الاعجاب والامل. وكنا نعتقد ان نشاة القطاع العام السينمائي العربي، خطوة متقدمة قياسا بالافلام التجارية التي اغرقت السوق . ولكن سرعان ما خاب املنا عندما اخفقت اكثر من تجربة .. وهنا لا بد من تحديد معنى الاخفاق . عندما نقول ( نعتقد ) ، فذلك لا يعني اطلاقا غموض رؤيتنا الى واقع القطاع العام ضمن الحالة السياسية التي نعيشها من كون هذا القطاع، مؤسسة ، من مؤسسات الانظمة البورجوازية التي تحمل في ثناياها كل مساوئ الفكر البورجوازي ، ولكنه ، اي القطاع العام ، يبقى فرصة يمكن ان تندفع باتجاه افضل اذا ما استطاعت العناصر التقدمية من غرز البذرات الخيرة في ارضيته ، ولكن الذي حصل هو ملكة القطاع الخاص والتجار وخبرتهم الطويلة والحافلة باساليب التوغل والتآمر ، حيث نشط هذا القطاع ونشط تجاره ، وابتلعوا بنهم شرس منجازاته فحولوه بالضرورة الى شكل جديد مقرف ، شكله الخارجي بوحي بالنفع ودواخله متعفنة ورديئة ، فانتج هذا القطاع العام جملة من الاشرطة التي تفوق في رداءتها ما انتجه القطاع الخاص. وطبيعي ان القطاع العام قد انتج بضعة اشرطة ، واتاح بضعة فرص لسينمائيين تقدميين ، ولكن هذه الاشرطة وتلك الفرص ، عانت الكثير ، قبل ان تنجز طموحها ، ووقعت بعد الانجاز في حالات حصار لا اول لها ولا آخر لسبب بسيط هو ان فرص العرض ، اي ، صالات السينما ، هي ملك للقطاع الخاص . لان نشوء القطاع العام وطبيعته قد استبعد تأميم دور العرض ، فبقيت تجربة التأميم ناقصة ومشوهة ... هي حالة معقدة متداخلة ، ليست عسيرة الفهم، بقدر ما هي عسيرة الحل بسبب طبيعة الانظمة البورجوازية كما اسلفنا .

هذا الواقع المرتبك الذي يحتاج الى حلول جذرية واضحة ، لا يعني طبعا عدم وجود ضوء واضح في هذه البقعة او تلك من الوطن ، او في هذه الفترة او تلك من مسيرتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والا نكون غير واقعيين وغير علميين ، اذا ما نحن فكرنا بالعكس .

من هذه الاضواء التي تخترق ظلمة الواقع السينمائي العربي ، فيلم برهان علوية ـ كفرقاسم ـ

في البداية كان طموح على الورق . وكان اصرار من قبل المخرج . كان يتحرك بثقة . وكانت لي منذ البداية الاولى الاولى ، جملة من التحفظات ، على راسها تعرض السيناريو الى الحركة الشيوعية في الارض المحتلة . لاننا كفنانين تقدميين ، نرفض التعامل مع التناقضات الثانوية على اساس انها تناقضات اساسية ، لان التوجه الاول في تحركنا يجب ان ينصب نحو عدونا الرئيسي الذي استلب ويستلب حريتنا وخبزنا وطموحنا . واذا كنا انقياء حقا ، وباصالة ، فعلينا ان نعالج الامور من منظور بعيد عن التعرض الى كل ما يسيء الينا كحركة تحرر وطنية .. من هذا الجانب كان تحفظي على الفيلم وهو لا يزال على الاورق . وكان جيدا الموقف ، من قبل المخرج عندما وزع مجموعة من نسخ السيناريو على المهتمين بشؤون السينما ودعاهم الى مناقشته ، لانه استطاع ان يلمس بضعة وجهات نظر لا شك حسب لها اكثر من حساب خلال تنفيذ الفيلم ، وهذا جانب ايجابي يسجل لصالح اسلوب المخرج في التحرك .

اصبح كفرقاسم بعد فترة قصيرة صورة متحركة ، واصبح موقفا سياسيا وفكريا للمخرج ، لا ينفصل عنه ، ولا يستطيع التخلي عنه ، منذ اللحظة التي عرض فيها على جمهور عام .

وفي لبنان كان العرض الاول على جمهور النادي السينمائي العربي ، الذي اثار نقاشات حادة ( غير مبرمجة ) ، مندفعة ، متحفظة ، منفعلة ، السر آخره ..

هل بقيت مشاهد التعرض للشيوعيين كما هي في السيناريو ؟ يبدو لي (( ان لم تخني الذاكرة )) .. انها بقيت كما هي ! ولكنني لم اشعر ( بحراجتها ) مثلما قراتها في السيناريو . وهذا متات من التنفيذ. فلقد احسست بان المخرج استطاع ان يكون موضوعيا في طرح الموضوع وبحدود معقولة ( نسبة الى موقفه السياسي ) ! ومما يؤكد هذه الموضوعية ما قاله المخرج ( علوية ) خلال نقاش الفيلم ، بانه لا يريد الخوض في مثل هذه الجزئيات ، انما المسالة الاساسية تكمن في ( الى اي حد نستطيع ان نواصل المسيرة في انتاج افلام جادة ومسؤولة تعبر عن قضايانا العربية ضمن ما نعاني منه فنيا وسياسيا ).

يتناول فيلم كفرقاسم ، حياة قرية فلسطينية ، نشاهد فيها كل النماذج الانسانية وانتماءاتها الطبقية ، ونتعرف بدقة متفوقة على صغائر حياتها الخاصة ، وعلاقة كل هذه الحيوات بالمحتلين واساليب اداراتهم العسكرية ونزعتهم الفاشية حتى حصول المجزرة في كفرقاسم عام ١٩٥٦ . ومن خلال هذه العلاقة يجسد لنا المخرج الموقف السياسي

**الى اي حد نستطيع ان نواصل المسيرة في انتاج افلام جادة ومسؤولة تعبر عن قضايانا العربية ، ضمن ما نعاني منه فنيا وسياسيا !؟**

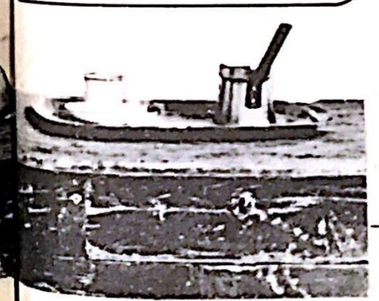



بتحليل يتميز بالبساطة وبمتاز بالعمق ، فجاء عمله سياسيا في مضمونه ، سهلا في شكله ، استطاع ان يلغي اكداسا من الاشرطة السينمائية العربية التي لم تعرف خصائص الواقع العربي ، ولم تعرف اسلوبية تناول هذا الواقع . انه الرؤية الواضحة ( للمخرج ) والتفسير الفني المدروس لها .

كثير من المخرجين العرب لم يعرفوا حتى الآن كيف يديرون ممثليهم . برهان عرف ذلك بجدارة .

ادارة الممثلين ، وضوح شخصياتهم ، ووضوح علاقاتهم ببعضهم وبالاحداث ، هي امور مفروغ منها في اي عمل سينمائي ، ولكن الفيلم العربي عموما افتقد الى كل هذه المقومات ، ونحن عندما نؤكد على هذه الجوانب بالفيلم ، فلان السينما العربية اضاعتها وكانت سينما باهتة ، غير مقنعة .. في كفرقاسم نجح برهان علوية بالوصول الى عمل امتلك فيه كل عناصر النجاح للسينما العربية ، وكان عملا ذي خصائص وملامح عربية برؤية شمولية .

مثل هذا العمل جدير بان يكون بموقع مساندة عربية تقدمية .. وهذه الدعوة الى مساندة هذه المحاولة النضالية ، لا تعني تخلينا عن رؤيتنا السياسية للواقع التي لا تلتقي في جزئياتها مع رؤية المخرج السياسية ، ولكن لان ( علوية ) كان صادقا في عمله، ولانا لا نسقط لقائنا الرئيسي معه في خلافاتنا الجزئية ، ولانه في هذا الفيلم لم يدفع بموقفه نحو مواقع مسيئة ، فان دعوتنا الى مساندة هذه المحاولة النضالية ( كفرقاسم ) تنطلق من جودة الفيلم في مضمونه الاساسي ، ومن تفوق المخرج في تحقيق هذا المضمون سينمائيا .

لقد استطاع مخرج كفرقاسم ان يقرب الواقع المعاد تمثيله الى صيغة قريبة من الوثائقية ، وتمكن من جعلنا نتطلع الى احداث الفيلم ، برغم مأساويتها ، نظرة عقلانية ، وهذه سمة اساسية من سمات الفيلم السياسي .

# نداء من الكتاب الوطنيين الديمقراطيين المصريين الى جميع المثقفين الديمقراطيين في العالم

وجه تجمع الكتاب الوطنيين الديمقراطيين المصريين نداءا الى الكتاب والمثقفين الديمقراطيين في العالم . يطالبونهم بالوقوف الى جانب الجماهير الشعبية المصرية . في نضالها ضد القمع والاضطهاد . وفيما يلي نص البيان :

ايها الرفاق

في كل لحظة من لحظات نضالنا كنا نتوجه اليكم ، ايها المناضلون الشرفاء ، فنضالنا جميعا من اجل غد متحرر للانسانية جمعاء ، نضال لا يمكن ان تدروه المسافات او تقطعه الحدود . ولقد اصبح ما بيننا من القضايا المشتركة اكثر واعمق مما كان في اي وقت مضى ، يعززه ويجلو ابعاده الارتفاع الواضح لرايات نضال جماهيرنا الشعبية ضد مستغليها وقاهريها الذين يشنون ـ تباعا ـ هجماتهم القمعية الشرسة ضد الطلائع الثورية لجماهير شعبنا من عمال وطلاب وفلاحين ومثقفين .

ولقد كانت جمعية كتاب الغد ، وهي تجمع ثقافي يضم كافة الكتاب الثوريين الشرفاء الذين ترتبط كتاباتهم بآمال وتطلعات الجماهير الشعبية المصرية من اجل غد افضل ، هي التجمع الوحيد الذي يناضل بجانب الجماهير الشعبية ضد كافة المنظمات الرسمية التي تقيمها الدولة هياكلا مفرغة تضم اقبح الوجوه رجعية وتصور في الابداع الادبي والفني .. والذين تخصص ـ لهم فقط ـ كافة الصحف والمجلات ودور النشر المملوكة للدولة الصفحات ، ليلوثوها بكتابات لا تنطوي سوى على الاستخفاف الوقح بعقلية الجماهير الشعبية وعلى خيانة لامانيها .

وقد استطاعت جمعيتنا بجهدها الخاص فك حصار الدولة باصدار كتيبات ونشرات تضم ادبا حقيقيا ومقالات عن وضعنا الراهن بعلمية وصراحة، كما اقامت الندوات وحلقات المناقشة داخل الجامعات المصرية مما جعل الشباب الثوري الجديد في مصر يلتف حول جمعية كتاب الغد ، ويقدم قاعات المحاضرات تحت حراسته وضد رغبة الادارة لاقامة ندوات الجمعية ، التي كشفنا فيها بصراحة طبيعة المؤامرات التي تحيكها السلطة من وراء ظهر الشعب لربط مصر بعجلة الامبريالية الامريكية ولدفع البلاد الى سياسة اقتصادية تمعن في استغلال الجماهير الشعبية ، وتسفر عن نتائج بالغة الخطورة على حياتها التي تتفاقم اعباؤها بما يفوق طاقة البشر . ولقد حاولت السلطة البوليسية ـ عن طريق عملائها ـ تخريب تلك الندوات لكنهم فشلوا في ذلك ، ثم رصدت السلطة رجال البوليس السري لمراقبة اعضاء مجلس ادارة الجمعية في العمل والبيوت.

وعندما تفجرت المظاهرات العمالية العنيفة ـ في الآونة الاخيرة ـ لتقلب القطارات وتشعل السيارات الخاصة وتحطم واجهات المحلات التجارية احتجاجا مرا على الارتفاع الرهيب والمستمر للاسعار في مواجهة اجورهم الهزيلة ، هاجم رجال المباحث مقر الجمعية واستولوا على السجلات الرسمية الخاصة بقانونية اشهار الجمعية والسجل الخاص باجتماعات مجلس الادارة وبعض مطبوعاتها الادبية . ثم بدا البحث عن اعضاء مجلس الادارة ، لكننا لم نؤخذ على غرة هذه المرة ، فلم يقع في ايديهم سوى عضو واحد من مجلس الادارة اخذ من مقر عمله ، فشرعوا في اعتقال العديد من الكتاب الاعضاء ـ من خارج مجلس الادارة ـ وقد واكب هذا اعتقالات واسعة النطاق لاعداد كبيرة من العمال والطلبة والمثقفين.

ان الاحداث القائمة الآن في بلادنا تؤكد على افتضاح مواقف السلطة العميلة امام شعبنا وامام العالم ، كما تكشف ادوات تضليلها وديماغوجيتها من صحف ومجلات متواطئة وكتاب ماجورين ونقابات واتحادات « صفراء » ، تلك الادوات التي تنصبها بديلا شائها وخائنا للصوت الحقيقي، صوت الجماهير الشعبية ، الذي يرتفع في مظاهراتها واعتصاماتها واضراباتها معتمدا المنابر الجديدة المستقلة كادوات كفاحية تبرز شعارات الرفض للمساومة وتسقط وجوه العمالة والاستبداد وتؤكد حقها في التنظيم والاستقلال .

ايها المناضلون الشرفاء من مثقفي وكتاب بالعالم ان راية الحرية المخضبة بدماء مناضلينا ، تتعزز بنضالاتكم المؤازرة لحركة الجماهير الشعبية في مصر ، من اجل رفض كافة اشكال القمع الفكري والجسدي الذي تمارسه السلطة المصرية

ومن اجل رفض البدائل الزائفة التي تفرضها هذه السلطة لتنظيماتنا الجماهيرية وتاييد حركة الجماهير الشعبية المصرية من اجل الاستقلال والديموقراطية . واننا لنهيب بكم ان تعلنوا عن موقفنا بكافة الوسائل المتاحة لكم .

عاش نضال الكتاب والمثقفين الشرفاء في العالم اجمع .

« جمعية كتاب الغد بالقاهرة »
( تجمع الكتاب الوطنيين الديموقراطيين المصريين)